ذلك مظاهرات واضرابات أدت الى سقوط الوزارة اللبنانية وتشكيل وزارة جديدة لم تنجح ، مع ذلك ، في وقف التردي في العلاقات بين السلطة ومنظمات المقاومة وانصارها من اللبنانيين . وهكذا انفجر الصراع مع الايام الاولى من شهر ايار ــ مايو ، واستمر القتال طوال اكثر من اسبوع نجحت بعده وساطات عديدة ، لبنانية وعربية ، في التوصل الى اتفاق على وقف اطلاق النار وعلى علاقات جديدة(١٢) .

• • •

ومما لا شك فيه أن الازمة الاخيرة هذه تستوجب وقفة تأمل وتحليل . ولا حاجة بنا الى سرد تفاصيل الوقائع ــ فالدماء لم تجف بعد والجروح لم تلتئم والمرارة لا تزال في الحلوق وشريط أدق تفاصيل الاحداث ما برح يمر تباعا وتكرارا امام الاعين . واذا ما ركزنا على النتائج والخلاصات نلاحظ ان الخاصية الابرز في هذه الازمة تتلخص في كونها جاءت بالاساس مختلفة عن كل ما سبقها من أزمات :

(١) ففي التصادمات السابقة ، كانت المؤسسات الرسمية اللبنانية بمثابة السيف والترس . وسواء كانت هذه المؤسسات هي اصل المبادرة في تحرك الجزء الاساسي من السلطة اللبنانية ام لا ، فان الحقيقة تبقى واضحة : الصراع المباشر كان بين معظم أجهزة السلطة الرسمية وبين العمل الفدائي وانصاره وقواه في الداخل والخارج . وفي حينه ، نجح العمل الفدائي في ابقاء القوى اللبنانية المؤيدة والمتعاطفة مع السلطة المتصدية لذلك العمل ، والمقصود هنا قوى « الحلف الثلاثي » (شمعون ــ الجميل ــ اده) ، خارج حلبة القتال . أما في أزمة نيسان ــ ابريل ١٩٧٥ ، فقد نجح العمل الفدائي والسلطة في الابقاء على الأخيرة خارج دائرة الاقتتال بل وتحويلها الى وسيط يعمل على تهدئة الأوضاع . اما السيف والترس فاقتصر ــ في العلن على الاقل ــ على « حزب الكتائب » الذي يتزعمه بيار الجميل ، دون باقي شركائه في « الحلف » .

(٢) وفي الصدامات السابقة ، انقسمت السلطة الرسمية على نفسها على أكثر من مستوى ، في حين بقيت ، هذه المرة ، متماسكة موحدة الموقف . وهكذا لم يشهد لبنان ــ في أزمة نيسان (ابريل) ١٩٧٥ ــ استقالة الحكومة القائمة .

(٣) وفي الازمات السابقة ، وربما بسبب التغيرين النوعيين المشار اليهما اعلاه ، كانت مواقف معظم الدول العربية الاخرى مواقف ضاغطة على السلطة اللبنانية . أما هذه المرة فكانت داعمة للوقفة الرسمية اللبنانية ومشجعة لها .

ومع ذلك فقد كانت أزمة ١٩٧٥ شبيهة بما سبقها على اكثر من صعيد : فالعمل الفدائي ــ كما في الازمات السابقة ــ لم يكن مبادرا في اشعال نار القتال*. وكما في صدامات ١٩٦٩ و ١٩٧٣ ، جاءت المبادرة على أيدي قوى لبنانية وليس بمبادرة فلسطينية . ولا غرابة في ذلك ، اذ أنه لم يكن من مصلحة العمل الفدائي ــ طالما انه حقق أقصى ما يمكن تحقيقه من وجود ضمن « الوضع اللبناني الخاص » ــ أن يبتدىء في معركة قد تحقق له ما لا يريده من انجازات لا يحتملها الوضع اللبناني ، او قد تؤدي الى ما لا يرغب فيه من أخفاقات قد تضعف من وجوده المتوازن والدقيق .

---

* باستثناء المبادرات التي قامت بها الجماهير الفلسطينية وفصائل ثورتها « بتحرير المخيمات » في آب وايلول من العام ١٩٦٩ .